١ ـ سياسة الغد

للأستاذ مريت بك بطرس غالى

٢ ـ التصوف الاسلامي

للدكتور زكى مبارك

كتابان قيمان لأستاذين جليلين أولهما ابتكار فى السياسة والآخر ابتكار فى الأدب . ومن يمن الطالع وحسن التوفيق أن (مطبعة الرسالة) قد افتتحت جهادها فى خدمة الثقافة بطبع هذين الكتابين . وقد تلقت الأندية السياسية والصحافة اليومية كتاب الأستاذ مريت بك بما هو أهله من التنويه والتقدير والبحث ، وستجد الصحف الأدبية والمقامات العلمية فى كتاب الدكتور مبارك كشفاً جديداً لناحية مجهولة من أدبنا العربى يستوجب التسجيل والشكر . وإنا نكتفى اليوم بنشر مقدمتى الكتابين بياناً لغرض الكاتبين وتمهيداً لما سنكتبه عنهما فى عدد قادم .

— ١ —

قال الأستاذ مريت بك :

من عادة الكتاب فى الشئون العامة أن يستهلوا حديثهم بأن يصفوا أحوال بلادهم بألوان سوداء قاتمة ، كى يتخذوا من ذلك وسيلة لإقدامهم على معالجتها ؛ وما كنت لأعدل عن هذه العادة لو كان الجمع بين الجنسين فى التعليم إلى سن الرابعة عشرة ثم ما بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة ، هل هو مع الجمع أو هو ضده ؟ فقال إنه لا يصلح للحكم فى هذه المسألة على أنه لا يرى فى الجمع أى بأس لا سيما للأبناء الذين ليس لهم أخوات والبنات اللاتى ليس لهن إخوة

وسئل عما يلاحظ فى شباب هذا الجيل من الفظاظة والكسل وانصدام روح المجازفة ، فاعترف بكل ذلك ، لكنه فضل شباب هذا الجيل من هذه الوجهات على شباب عصره ، بل فضلهم على نفسه هو حينما كان طفلاً وشاباً

وسئل عن هذه الفروع المملة من التعليم والتى لا تسيغها نفوس التلاميذ : هل ينبغى مع ذلك أن تكون جزءاً مما يفرض عليهم تعلمه ؟ فقال : « حسن ! وهل يسيغ أحد من التلاميذ جدول الضرب مع شدة لزومه ؟ » . ثم أوصى بوجوب إثارة الرغبة فى نفس التلميذ ليحفظ الجدول وما شابهه وإفهامه أنه بدون هذا الجدول لا يستطيع أن يتصرف فى النقود التى يعطيها له أبوه لينفقها وإلا يسخر منه الجميع ؛ وبهذا يقبل الطفل على كل صعب مملول فيحفظه بدافع الرغبة لا بدافع الرهبة والخوف من العقاب

وسئل عما عسى أن تكسبه الأمة أو تخسره فى حالتى تعميم المدرسة الابتدائية أو المدرسة الأولية كخطوة أولى لتعليم الطفل . ويظهر أن (شو) أميل إلى تعميم المدرسة الابتدائية لأن هناك (نهاية سنرى) من المعلومات التى يجب تلقينها للأطفال لا يمكن ولا يصح بأى حال أن ينقص منها شىء ما داموا سيحيون فى جماعة إنسانية متمدينة

وبقى السؤال الرابع ... وهو أعجب الأسئلة كلها لأنه يتعلق بالخط ! وهل من المهم أن يكون فرعاً من فروع التعليم المدرسى قائماً بذاته ؟ وقد حتم (شو) أن يكون الخط كذلك . غير أنه رأى أن تزود المدارس بصور من خط ميكائيل أنجلو ليضاهى التلاميذ خطوطهم بها .. وهذا ما لم نفهمه من (شو) فخط أنجلو لا يصلح مطلقاً أن يكون خطاً لأبناء هذا الجيل من الكاتبين بالحروف اللاتينية ، وكان الأجدر به أن يحتم تدريس الخط كفرع من فروع التعليم المدرسى وحسب

لولا أن أحوالنا الحاضرة أفحت تنطق بنفسها عما نحن عليه ، وقد شغل فكرنا جميعاً بعلامات الضعف فى النظام السياسى والقومى ، ومظاهر التفكك الاقتصادى والاجتماعى . وشاهدنا فى السنتين الأخيرتين على الأخص اهتماماً عظيما بمشاكلنا الداخلية فى جرائدنا ومجلاتنا ومحاضراتنا وفى حديث الناس عامة ؛ وترجع هذه الظاهرة الجديدة فى حياتنا القومية ، على ما أظن ، إلى أننا على أثر اكتساب حريتنا الوطنية انتقلنا إلى عصر جديد فى تاريخنا ، حتى بدأنا نشعر بأن مستقبلنا القومي أصبح الآن فى أيدينا ، وليس لأحد سوانا أن ينظمه ويكونه . وقد غطت قضية الاستقلال خلال العشرين عاماً الماضية على شئوننا الداخلية إلى حد ما ، وصرفتنا عنها بحيث خيل الينا أنها على درجة من الرقى مقبولة . وكم كانت خيبتنا عظيمة حين عدنا من الشئون الخارجية إلى الشئون الداخلية ، فوجدناها فى منتهى الضعف والتقهقر

وحالة مصر فى الحقيقة لا تدعو إلى الاطمئنان : فأمامنا اضطراب مستمر فى الحياة القومية ، وأزمة محققة فى الآداب العامة ، ومشاكل اقتصادية واجتماعية قد تصل فى القريب العاجل إلى الحد الأقصى من الخطورة . وليست تلك العوامل بخافية على أحد . وقد أوجدت عند بعضنا شيئاً من التشاؤم فى المستقبل ، وانتشر القلق فى صفوف الشعب ، من فلاحين يشعرون به ولا يفهمون أسبابه ، إلى مثقفين ومتعلمين يرون الأخطار فى جلاء ويتوقعون تضخمها فى السنوات القادمة . غير أن علامات الضعف والتفكك لا تظهر على صورة واحدة لكل منا ، ولم نبحث وراء تلك الدلائل الخطيرة والمديدة عن الأسباب الأصلية التى عملت على تكوينها وظهورها . وكان لعدم تعودنا مواجهة تلك الشئون المعقدة أن أخذنا ندرسها ونتناقش فيها منفصلاً بعضها عن بعض ، ولم نفطن إلى وحدة الحياة القومية وإن بدت مختلفة المظاهر سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً

زد على ذلك أن عدم الاستقرار السياسي والإداري يجعل الوزارات التى تتوالى على كراسى الحكم غير قادرة على أن تعد برنامجاً للإصلاح والتقدم ، وتواصل تنفيذه منسقة بين مختلف التدابير الحكومية وغير الحكومية . حتى أن سرعة التقلب السياسي وكثرة المشاكل الوطنية وتعقدها تبعد رجال السياسة والادارة عن الأغراض البعيدة التى كان يجب عليهم ألا يفارقوها أبداً ، وتجرهم نحو المجادلات الحزبية والمسائل الوقتية أو الثانوية ؛ فتظهر تلك المجادلات وهذه المسائل بمظهر هام جداً كلما قربت وضاق الوقت عن حلها ، مما يؤدى إلى قرارات غير محكمة وحلول غير كاملة ، فتبقى سياسة الدولة عديمة التواصل كثيرة التردد والتقلب

وليس الغرض من هذا البحث أن ندرس جميع المسائل التى تواجه الدولة المصرية فى الوقت الحاضر ، ولا أن نستعرضها واحدة بعد أخرى ونقترح حلاً وتدبيراً لكل منها ؛ بل الغرض أن نلقى نظرة إجمالية على كافة مظاهر النشاط القومي مع التدقيق فى العوامل الأساسية التى أدت إلى تضخم مشاكلنا ومصاعبنا ثم نرسم بعض الخطط العامة التى يحسن العمل على مقتضاها لمجابهة هذه الأخطار . وإلى جانب ذلك نبين حاجتنا الحيوية إلى الوحدة والتناسق والتواصل فى سياسة الحكومة لتكفل تقدم الأمة سياسيًا وقوميًا ، وتضمن علاج ما يمكن علاجه من أحوالنا الاقتصادية والاجتماعية

وإذا كانت سماء مصر ملبدة بغيوم الأخطار الخارجية والمصاعب الداخلية ، فجدير بنا ألا نرهب هذا أو نخشاه ، ولنطمئن على كل حال إلى ما فى قلوب المصريين من عزم وشهامة وإخلاص فى خدمة الوطن . ولقد اتفق أول عهد مليكنا المحبوب مع شروق شمس الاستقلال الوطنى الذى تفنى الشعب المصرى قروناً يتطلع إليه ، فأصبح عهد « فاروق الأول » حلقة اتصال بين مفاخر مصر القديمة وآمال مصر الحديثة ، والله نسأل أن يهدينا سبيل التقدم والفلاح ؟

ظريفة !...

هذا ما ستنبئك به مرآتك . وستسمعين كل الناس يهمسون من حولك بهذه الكلمة عند ما تنتخبين ثوبك الذي أنت فى احتياج إليه من عند :

شملا

زيارة منك لمحلات شملا تجعلك تتأكدين من صحة أقوالنا

— ٢ —

وقال الدكتور زكى مبارك :

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

أما بعد فهذا كتاب التصوف الاسلامى ، وهو كتاب شغلت به نفسي نحو تسع سنين ، وأنفقت فى تأليفه من الجهد والعافية ما أنفقت ، فى أعوام لو ابتلي بمثلها أصبر الصابرين وأشجع الشجعان لألقى السيف وطوى اللواء ، فقد كنت فى حرب مع الناس ومع الزمان ، وياويح من ابتلته المقادير بافك الناس وغدر الزمان !

ولكن الله عز شأنه لم يخلق الشر إلا لحكمة عالية ، فقد قويت عزيمتى بفضل ما عانيت فى حياتى من ضروب الاضطهاد ، واستطعت أن أقيم الدليل على أن الظلم قد يعجز عن تقويض عزائم الرجال .

وهل كان من هواى أن أسرف على نفسى مثل الذى أسرفت فأقضى عشرين سنة فى الحياة الجامعية بين القاهرة وباريس كانت كلها نضالاً فى نضال ؟

هل كان من هواى أن تخلو حياتى من الهدوء والطمأنينة فلا أصبح ولا أمسى إلا فى عراك وكفاح ؟

هل كان من هواى أن أنتهى إلى ما انتهيت إليه فلا يكون لى من نعيم الحياة إلا ما أصوِّره بقلمي من حين إلى حين لأوهم نفسى أنى اعايش الأحياء ؟

باركت يارب وتعاليت ! فلولا لطفك وترفيقك لما استطعت بفضل الجد أن ألقى أهل زمانى بالاستطالة والكبرياء .

ومن هم أهل زمانى ؟

هم الكسالى الظرفاء الذين حرمهم الله نعمة البلاء باقذاء العيون تحت أضواء المصابيح .

* * *

ينقسم هذا الكتاب إلى قسمين : التصوف فى الأدب ، والتصوف فى الأخلاق .

وقد كان هذا الموضوع فيما يظهر غامضاً أشد الغموض ، فقد طلب مجلس الأساتذة بكلية الآداب أن تقدم له مذكرة نشرح بها الغرض من هذا الكتاب ليقبل أو يرفض جعله موضوع رسالة لامتحان الدكتوراه . وقد أجبنا يومئذ بأننا نريد أن نبين كيف استطاع التصوف أن يخلق فنًّا فى الأدب ومذهباً فى الأخلاق ، وهو موضوع يستحق الدرس بلا جدال .

وكان مجلس الأساتذة على حق ، فقد كنا فى حيرة مظلمة الأرجاء ، وكنا لا ندرى كيف نتوجه ، وكل ما كنا نملك حينذاك هو الاطلاع على العناصر وتصور مالها من أهمية لو وضعت فى نظام واضح مقبول .

ولكن السبيل إلى ذلك كان فى غاية من العسر والصعوبة ، فقد كنا جمعنا ألوفاً من الجذاذات لا ندرى كيف نربط بعضها ببعض ، وكيف نسوى منها رسالة للدكتوراه فى الفلسفة تستوفي الشرائط الجامعية .

وتجسم الخطر حين نظر المؤلف فرآه يخترق المصاعب وحده بلا هادٍ ولا معين ، فقد كان ظفر باجازة الدكتوراه قبل ذلك مرتين ، مرة من الجامعة المصرية ومرة من جامعة باريس ، وكان ذلك كافياً لأن ينصرف عنه الأساتذة ويتركوه يكتب ما يشاء كيف شاء .

ولكن أولئك الأساتذة الذين اعتمدوا على كفايته العلمية لم يتركوه بلا حساب ، فقد تدخلوا فى تصميم الرسالة وخرّبوها بأيديهم مرتين ، فخرج منها كتاب نشر منذ سنين هو كتاب (المدائح النبوية فى الأدب العربى)

والشر قد يكون باباً من الخير فى بعض الأحيان .

* * *

نوقش هذا الكتاب بجلسة علنية فى مساء اليوم الرابع من أبريل سنة ١٩٣٧

ناقشته لجنة غنيفة قهرت المؤلف على التراجع ، وهو خلق لم يعرفه من قبل ، واقترحت أن يحذف أشياء وأن يضيف أشياء .

وقد رجع المؤلف إلى الكتاب فنظر فيه من جديد وأضاف إليه طائفة من الفصول فى الأدب والأخلاق ، وحرر بعض الهوامش التى تحدد ما كان يحتاج إلى تحديد فى بعض المواطن ؛ وانتهى بإقامته فى العراق فتعقب الصلات بين التصوف والتشيع ، وقد أعانه ذلك على إمداد كتابه بمحبوبة جديدة سيرى القارىء شواهدها وهو ينتقل من بحث إلى بحث .

* * *

هذا ، وقد يجد القارئ ما يثيره فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب . فإن وجد ما يشوكه ويؤذيه فليرجع إلى ما شاكه وآذاه بالدرس والتأمل مرة أو مرتين أو مرات ليوافق أو يعترض على هدًى وبصيرة . وليتذكر أن الدراسات الفلسفية لا تقوى ولا تجود إلا إن سلمتْ سلامةً تامةً من الرياء وتخوف العواقب

والمؤلف يرجو أن يتذكر القارئ أيضاً أن الصوفية كانوا من أقطاب الحرية الفكرية ، فمحاربة هذه الحرية باسم الغيرة عليهم خطأ لا يقع فيه رجل حصيف

وفى ختام هذه الكلمة الوجيزة أدعو الله تبارك أسماؤه أن يُسبغ على هذا العمل الخالص لوجهه الكريم حُلة القبول ، إنه قريب مجيب .

زكى مبارك

أفاعى الفردوس

ديوان من الشعر الجيد الحي ، أصدره الشاعر اللبنانى إلياس أبوشبكة ، وقد كتب الأستاذ فليكس فارس عنه مقالا تحليلياً سننشره فى العدد القادم .

من الاثنين ١٤ نوفمبر و الأيام التالية

ستديو مصر بمعداته وفنانيه

يقدم أعظم أفلامه

لاشين

الذي سيسجل صفحة فخار فى تاريخ السينما في مصر والشرق

تمثيل

حسن عزت — حسين رياض — نادية ناجى

وفى نفس البرنامج يقدم ستديو مصر

(الفلم الاسلامى الجديد لمناسك الحج عام ١٩٣٨)

ورسالة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود الى العالم الاسلامى

أربع حفلات يومياً احجزوا أماكنكم من الآن . . .